إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ومواضع الرؤية

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-:

(وَقَد دَّخَلَ أيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلائِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ :الإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ بِهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لاَ يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللهُ تَعَالَى).

(الشرح)

قوله: (وَقَد دَّخَلَ أيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلائِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ): علّق المصنف مسألة الرؤية بأربعة أصول من أصول الإيمان:

- الإيمان بالله: من حيث تجليه للمؤمنين يوم القيامة، وإمكان رؤيته.
- الإيمان بالكتب: من حيث ورود الخبر بها في القرآن العظيم.
- الإيمان بالملائكة: من حيث أن جبريل نزل به على محمد، عليهما السلام.
- الإيمان بالرسل: من حيث إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بأحاديث الرؤية.

قوله: (الإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ): من المعاينة بالأبصار؛ أي أنها رؤية حقيقية، لا تخيلية؛ وقد ورد هذا اللفظ في الصحيح، من حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا)[1].

قوله: (كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ بِهَا سَحَابٌ): بهذا نطق من لا ينطق عن الهوى: (فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ)، قَالُوا: لَا، قَالَ: (فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ)[2].

قوله: (وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لاَ يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ): كما تقدم في الأحاديث. وليلة البدر: ليلة أربعة عشر، أو خمسة عشر؛ إذا تمت استدارته، واكتمل نوره؛ فلا يقع في رؤيته ضيم، أي مذلة، ولا تضام، أي ازدحام؛ فهذه التأكيدات النبوية، مضمومة إلى الآيات القرآنية، لا تبقي أدنى شك لدى مؤمن بأن هذه الرؤية حق، بفضل الله ومنه، للمؤمنين.

قوله: (يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ): عرصات: جمع عرصة، وهي مواقف الحساب، وهي الأرض المبدلة التي يُبعث عليها الناس يوم القيامة؛ وقد جاء ذلك مفصلًا في حديث أبي هريرة، رضي

---

[1] أخرجه البخاري: رقم (٧٤٣٥).

[2] أخرجه البخاري: رقم (٨٠٦)، ومسلم: رقم (١٨٢).

الله عنه، (أَنّ النّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّه هَلْ نَرَى رَبّنَا يَوْمَ القِيَامَة؟ قَالَ: (هَلْ تُمَارُونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ)، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللّه، قَالَ: (فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ)، قَالُوا: لَا، قَالَ: (فَإِنّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يُحْشَرُ النّاسُ يَوْمَ القِيَامَة، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتّبِعُ الشّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتّبِعُ القَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتّبِعُ الطّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبّكُمْ، فَيَقُولُونَ هَذَا مَكَانُنَا حَتّى يَأْتِيَنَا رَبّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبّنَا)[1].

قوله: (**ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ**): كما قال تعالى: {عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ} [المطففين: ٢٣، ٣٥]، وهو أعظم نعيم يناله أهل الجنة.

قوله: (**كَمَا يَشَاءُ اللهُ تَعَالَى**): على كيفية يعلمها سبحانه، وقد تقدم أن أهل البدع؛ من الجهمية، والمعتزلة، ومن وافقهم؛ من الإمامية، والزيدية، والإباضية، أنكروا الرؤية، وتقدم ذكر شبهاتهم، والرد عليهم.

---

(١) أخرجه البخاري: رقم (٨٠٦).

الإيمان باليوم الآخر

الإيمان بفتنة القبر ونعيمه وعذابه

قال المؤلف –رحمه الله تعالى–:

(وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ. فَأَمَّا الْفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ للرِّجُلِ: مَن رَّبُكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَن نَّبِيُّك؟ فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ :رَبِّيَ اللهُ، وَالإِسْلاَمُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم نَبِيِّي . وَأَمَّا الْمُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: هَاه هَاه؛ لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إلاَّ الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ؛ لَصُعِقَ. ثُمَّ بَعْدَ هّذِهِ الْفِتْنَةِ إمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ).

(الشرح)

هذا شروعٌ من المؤلف في بيان ركنٍ عظيم من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالمعاد؛ فما من رسالة، من الرسالات السماوية، إلا وتضمنت ثلاثة أمور: الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر، والعمل الصالح، والدليل على ذلك قول الله تعالى: {إِنّ الّذِينَ آمَنُوا وَالّذِينَ هَادُوا وَالنّصَارَى وَالصّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا} [البقرة: ٦٢]؛ فلا يمكن أن تخلو رسالةٌ من عند الله–عز وجل–من ذكر المعاد.

والإيمان باليوم الآخر من أعظم أصول الإيمان، وإنكاره كفر صراح؛ قال تعالى: {زَعَمَ الّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبّي لَتُبْعَثُنّ ثُمّ لَتُنَبّؤُنّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ} [التغابن: ٧]، وقال تعالى: {وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: ١٣٦]، وقد كان مشركو العرب يستبعدون ذلك، وينكرونه، ويقول قائلهم: {أَإِذَا مِتْنَا وَكُنّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ} [ق: ٣]، ويضربون لذلك الأمثال: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ} [يس: ٧٨]، وينسبون الهلاك إلى الدهر، قال تعالى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلّا حَيَاتُنَا الدّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلّا الدّهْرُ} [الجاثية: ٢٤]، ويقولون: أرحامٌ تدفع، وأرضٌ تبلع، وما يهلكنا إلا الدهر.

والناس في مسألة "المبدأ والمعاد" على ثلاثة أقسام:

- أهل الملل السماوية: الذي ينتمون إلى شريعةٍ من عند الله، وينتسبون إلى نبي من الأنبياء، يثبتون المبدأ والمعاد؛ يقرون بأن الله خالقهم، ويقرون بأنه يبعثهم، ويجازيهم على أعمالهم؛ إن خيراً فخير، وإن شرًا فشر.
- الفلاسفة الدهرية: الذين يقولون بقدم العالم وخلوده، ينكرون المبدأ والمعاد.
- مشركو العرب: يثبتون المبدأ؛ كما قال تعالى عنهم: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [الزخرف: ٨٧]، لكنهم ينكرون المعاد؛ كما قَالَ الله عنهم، في ثلاثة مواضع: {أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ} [المؤمنون: ٨٢]، [الصافات: ١٦]، [الواقعة: ٤٧]، وفي رابع: {أَإِنَّا لَمَدِينُونَ} [الصافات: ٥٣]،

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (جَاءَ الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ، بِعَظْمٍ حَائِلٍ فَفَتَّهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَيَبْعَثُ اللَّهُ هَذَا بَعْدَ مَا أَرَمَّ؟ قَالَ: (نَعَمْ، يَبْعَثُ اللَّهُ هَذَا يُمِيتُكَ، ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ) قَالَ: فَنَزَلَتِ الْآيَاتُ: {أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ} [يس: ٧٧]، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ)[١].

وقد قرن الله الإيمان باليوم الآخر بالإيمان به، في أكثر من عشرين موضعًا في القرآن، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [البقرة: ٦٢]، وقوله: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [البقرة: ١٧٧]، وقوله: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} [الأحزاب: ٢١]؛ فالإيمان باليوم الآخر من أعظم أصول الإيمان؛ لا يتم الإيمان إلا به.

والإيمان باليوم الآخر يتضمن أربعة أمور:

أولها: الإيمان بما يكون في القبر.

الثاني: الإيمان بالبعث.

الثالث: الإيمان بالحساب.

الرابع: الإيمان بالجزاء.

قوله: (وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ): (من) هنا للتبعيض، ووصف بالآخر لتأخره عن الدنيا، وله أسماء عديدة؛ ذكر القرطبي أكثر من خمسين اسمًا، وعدّ ابن كثير ثمانين اسمًا؛ فمن أسماء اليوم الآخر: يوم

---

[١] أخرجه الحاكم: رقم (٣٦٠٦)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

القيامة، ويوم التغابن، ويوم الدين، الصاخة، والواقعة، والقارعة، والآزفة، وهذه الأسماء أعلامٌ، وأوصاف؛ كما نقول في أسماء ربنا، عز وجل، وأسماء نبيه، صلى الله عليه وسلم، وأسماء القرآن، أنها أعلام، وأوصاف؛ فهي أعلام على ذلك اليوم، وأوصاف له؛ فالصاخة: التي تصخ الآذان، والقارعة: التي تقرع القلوب، والآزفة: قريبة الوقوع. وهكذا؛ فأسماء اليوم الآخر دالة على معانٍ معينة؛ ولذلك كثرت أسماؤه جداً.

قوله: (**الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ**): هذا ضابط الإيمان باليوم الآخر؛ فابتداء أموره من حين مفارقة الروح للبدن، وذلك يتضمن ما يراه المحتضر من تنزل ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب، حين قبض روحه؛ قال تعالى عن المؤمنين: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت: ٣٠]، وقال عن الكافرين: {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الأنفال: ٥٠].

قوله: (**فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ**): **يكون في القبر أمران:**

١-**فتنة القبر**: والمراد بالفتنة لغةً: الاختبار؛ من قولهم: "فتن الصائغ الذهب"، إذا أدخل الذهب المشوب في أُتون النار فتساقط ما شابهه من عوالق؛ قال تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: ٣]. واصطلاحاً: سؤال الملكين للميت عن ثلاث مسائل: عن ربه، ودينه، ونبيه؛ فسُميت فتنة القبر، لأنها تختبر إيمان الميت، وتستخرج خبيئة قلبه؛ فيتبين أمؤمن هو، أم مرتاب وشاك؟ حتى قال النبي، صلى الله عليه وسلم: (أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ)[١]. وتأتي الفتنة بمعنى العذاب؛ كما قال تعالى: {ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ} [الذاريات: ١٤]. وعن عَائِشَةَ قَالَتْ: (دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ شَعَرْتِ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟ قَالَتْ: فَارْتَاعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: «إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودُ») (٢).

قوله: (**فَأَمَّا الْفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَن رَّبُكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَن نَّبِيُّكَ؟ فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ :رَبِّيَ اللهُ، وَالإِسْلاَمُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم نَبِيِّي .وَأَمَّا الْمُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: هَاه هَاه؛ لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلاَّ**

---

[١] أخرجه البخاري: رقم (١٠٥٣)، ومسلم: رقم (٩٠٥).

(٢) أخرجه مسلم: رقم (٥٨٤).

الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ؛ لَصُعِقَ): هذه صفة الفتنة؛ قال شيخ الإسلام: (وَقَدْ تَوَاتَرَتْ الْأَحَادِيثُ عَنْ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ؛ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَغَيْرِهِمْ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَهِيَ عَامَّةٌ لِلْمُكَلَّفِينَ؛ إلَّا النَّبِيِّينَ؛ فَقَدْ اُخْتُلِفَ فِيهِمْ، وَكَذَلِكَ اُخْتُلِفَ فِي غَيْرِ الْمُكَلَّفِينَ؛ كَالصِّبْيَانِ، وَالْمَجَانِينِ؛ فَقِيلَ: لَا يُفْتَنُونَ؛ لِأَنَّ الْمِحْنَةَ إنَّمَا تَكُونُ لِلْمُكَلَّفِينَ، وَهَذَا قَوْلُ الْقَاضِي، وَابْنِ عَقِيلٍ؛ وَعَلَى هَذَا، فَلَا يُلَقَّنُونَ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَقِيلَ يُلَقَّنُونَ، وَيُفْتَنُونَ، أَيْضًا، وَهَذَا قَوْلُ أَبِي حَكِيمٍ، وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ عبدوس، وَنَقَلَهُ عَنْ أَصْحَابِهِ، وَهُوَ مُطَابِقٌ لِقَوْلِ مَنْ يَقُولُ: إنَّهُمْ يُكَلَّفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ كَمَا هُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَأَهْلِ السُّنَّةِ؛ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَالْكَلَامِ، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَاخْتَارَهُ، وَهُوَ مُقْتَضَى نُصُوصِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ)[١].

٢-عذاب القبر أو نعيمه: وقد جاء وصف ما يكون في القبر مفصلًا، مبسوطًا في حديث البراء بن عازب المشهور، وإسناده جيد، وهو من أتم الأحاديث سياقًا لما يكون في القبر.

فعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ الله، صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: (" اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، "، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ". قَالَ: "فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ" قَالَ: "فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى ". قَالَ: " فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ،

---

[١] مجموع الفتاوى: (٤/ ٢٥٧).

فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ". قَالَ: "فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ". قَالَ: "وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي". قَالَ: "وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ". قَالَ: "فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ"، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ} [الأعراف: ٤٠]، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: " اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا". ثُمَّ قَرَأَ: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ، فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج: ٣١]" فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ)[١].

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (" الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا

---

[١] أخرجه أحمد: رقم (١٨٥٣٤)، وأخرجه بتمامه ومختصراً: أبو داود: رقم (٤٧٥٣)، وابن أبي شيبة: رقم (١٢٠٥٩،١٢٠٣٢)، وهناد في "الزهد": رقم (٣٣٩)، والمروزي في زوائده على "الزهد" لابن المبارك: رقم (١٢١٩)، والدارمي في "الرد على الجهمية": رقم (١١٠)، والطبري في "التفسير": (٢٠٧٦٣)، وفي "تهذيب الآثار": (٧٢٠)، وابن خزيمة في "التوحيد": (ص: ١١٩). وإسناده صحيح.

الرَّجُلِ مُحَمَّد صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللّه وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنّة، قَالَ النَّبيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمّا الكَافِرُ – أَوِ المُنَافِقُ – فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ ")[١].

وفي رواية مسلم، قال قتادة بن دعامة: (وَذُكِرَ لَنَا أَنّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا، إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)[٢].

وهذه أخبار صحيحة لأمور غيبية؛ لا يجوز أن تُعَارض بمحض العقول، والقياس على أحوال الدنيا؛ فلو قال قائل: كيف يقعد الميت، واللحد ضيق لا يتسع للقعود؟ قيل: أمور البرزخ لا تُقاس على أمور الدنيا؛ فإن الدور الثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار الآخرة، ولكل دار أحكامها؛ فليس صوابًا أن يجري الإنسان أحكام دارٍ على دارٍ أخرى، والواجب على المؤمن إذا سمع شيئًا مما قاله الله ورسوله، صلى الله عليه وسلم، أن يتلقاه بالقبول، ولا يقابله بالاعتراض بالأمور المعهودة في الدنيا.

وهذه المسائل الثلاث: من ربك، وما دينك، ومن نبيك، هي الأصول التي عليها مدار الإيمان، وإليها ترجع بقية أصول الإيمان، وعلى أساسها صنف الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رسالته الشهيرة "الأصول الثلاثة"، أو "ثلاثة الأصول". وهي: التوحيد، والنبوة، والمعاد.

فأما المؤمن فيقول: ربي الله، والإسلام ديني، ونبيي محمد؛ يجيب أجوبة مباشرة صائبة، لأنها يقينيات؛ اطمأن بها قلبه في الدنيا؛ فاعتقد أن الله ربه؛ خالقه ومالكه ومدبر أموره، وأنه سبحانه المستحق للعبادة دون ما سواه، وأنه متصفٌ بصفات الكمال، ونعوت الجلال، وأن دينه الإسلام؛ الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، وأن نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، المبلغ عن ربه–سبحانه–، الواجب تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وقد التزم بهذه الأصول، وسار عليها، ولزم الصراط المستقيم، فجرى بها لسانه في الامتحان؛ فما أسعده! وما أهنأه! بالبشارات التي يلقاها في قبره.

والثبات الذي كان عليه المؤمن في الدنيا أثمر له الثبات عند السؤال في البرزخ؛ فلما كانت قلوبهم مطمئنة بالإيمان في الدنيا، رافقهم ذلك في البرزخ، فثبت الله قلوبهم وسدد جوابهم، وقد استشهد النبي ﷺ بقوله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: ٢٧].

١) أخرجه البخاري: رقم (١٣٣٨) واللفظ له، ومسلم: رقم (٢٨٧٠).
٢) أخرجها مسلم: رقم (٢٨٧٠).

وأما المرتاب فيقول: (هاه هاه): وهي كلمة اندهاش ومفاجأة. (لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ): وهذا يدل على أنه قد سمع جواب هذه المسائل في الدنيا، لكنها لم تسعفه وقت الحاجة، لأنها لم تتجاوز صماخي أذنيه، وإذا نطق بها لم تتجاوز تراقيَه، ولم تتجذّر في قلبه، ولم تصبح يقينًا يجد بشاشته، بل كان مشغولًا بدنياه، لا يأبه بها، ولا يرفع رأسًا بعلمٍ نافع، ولا بعملٍ صالح، فلما سئل عنها لم يُحر جوابًا؛ كان إمّعة، يردد ما يقول الناس دون وعي، كما قيل: "يا له من ببغاء عقله في أذنيه".

فما أشقاه بما يقع له في قبره من العقوبة التي تنذر بما هو أشد منها، كما قال: (فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلَّا الإِنْسَانَ وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ؛ لَصُعِقَ) والمرزبة: القطعة من الحديد، يتخذ لها مقبض تستعمل في الدق، والقرع، وما أشبه، والصعق: الغشية من أمر مهول.

ففتنة القبر تدل على ضرورة تحقيق الإيمان، وأن يكون الإنسان على بينة من دينه، فيعرف ماذا يعتقد، وماذا يقتضي علمه بالله، وبدينه، حتى لا يخونه ذلك في أحرج المواقف، وأضيق المضائق. فيجب الإيمان بما يكون في القبر، وقد اتفق المسلمون على إثبات سؤال الملكين، وإثبات عذاب القبر ونعيمه، ولم ينكر ذلك إلا الزائغون.

قوله: (ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ): أفادنا –رحمه الله– بأنه يعقب هذه المساءلة آثارها؛ وهو إما نعيم وإما عذاب، **والناس في هذا ثلاثة أصناف:**

- **الموحدون:** الذين سلموا من الكبائر، فلا يزالون في نعيم متصل إلى أن تقوم الساعة.
- **الكافرون:** فيكونون في عذابٍ متصل إلى أن تقوم الساعة.
- **عصاة الموحدين:** ممن استحق عقوبةً برزخية فهؤلاء يعذبون بعذابٍ مؤقت غير دائم، بسبب ما فرط منهم، ويكون ذلك مجزئًا عن عذاب النار. وقد عدّ العلماء من المكفرات ما يقع لعصاة الموحدين في القبور. ودليل هذا النوع ما رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال: (إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، وَإِنَّهُ لَكَبِيرٌ)، ما يعذبان في كبير أي في أمر يشق عليهما تركه، لكنه في حقيقته كبيرٌ عند الله، (أَمَّا هَذَا: فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَأَمَّا هَذَا: فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ)، كان أحدهما لا يستبرئ من البول؛ كالبهيمة، إذا بال لوّث فخذيه وثيابه؛ فهو لا يتنزه من البول، فاستحق هذه العقوبة البرزخية، وأما الآخر فكان يحب قالة السوء، والسعاية، وإثارة الضغينة؛ يأتي إلى فلان ويقول: فلان قال فيك كذا وكذا! ثم يذهب إلى الآخر فيقول: فلان قال فيك كذا وكذا! وتلك دناءة وانحطاط، وهي العضه التي ذكرها النبي صلى الله عليه

وسلم (أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ) (١)، فاستحق هذه العقوبة البرزخية، ثم إن نبينا، صلى الله عليه وسلم، أخذ جريدة رطبة خضراء فشقها نصفين، وغرز على كل قبر منهما شقًّا، وقال: (لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا)[٢].

ولا شك أن هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم؛ فلا يُشرع لنا أن نغرز على قبور الناس جريدًا، ولا يُقال إن هذا من السنن التي تُتبع، لأنه لا سبيل لنا أن نعلم بحال المقبور، ورسولنا، صلى الله عليه وسلم، قد أعلمه ربه، وبناءً على علمه فعل ما فعل؛ بل إن فعل ذلك منّا ينطوي على تهمة للمقبور بارتكاب ما يوجب عذاب القبر، ثم إن شفاعته، صلى الله عليه وسلم، مقبولة عند الله، وليس ذلك لآحاد الناس؛ ولهذا لم يفعل هذا الفعل أحدٌ من الصحابة.

وبعض الجهلة يأتون إلى المقابر، ويضعون عليها الأوراق الخضراء والزهور وغير ذلك، والغالب أنهم يتشبهون بالنصارى، أو غيرهم من أمم الكفر؛ فهذا ليس من سنن أهل الإسلام.

والمقصود أن النبي، صلى الله عليه وسلم، أثبت في حديث عبد الله بن عمر عذابًا لبعض عصاة الموحدين، أما عذاب غيرهم من المشركين، فقد دل عليه الكتاب، والسنة؛ فمن ذلك:

- قول الله عز وجل عن آل فرعون: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر: ٤٦]، دلت هذه الآية أن ثَمّ عذابًا قبل دخول النار؛ وهو عذاب البرزخ. الغدو: أول النهار، والعشي: آخره؛ وهذا من أجلى وأقوى أدلة أهل السنة والجماعة على إثبات عذاب القبر.

- قول الله عز وجل: {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} [الأنفال: ٥٠]؛ فدل ذلك على أن الكافرين عند قبض أرواحهم يتعرضون لضربٍ مبرح من الملائكة، وهذا مبتدأ عذاب البرزخ.

- قول الله عز وجل: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: ١٢٤]، قال أبو بكر الإسماعيلي-رحمه الله-: (بيّن أن المعيشة الضنك قبل يوم القيامة، وفي معاينتنا اليهود والنصارى والمشركين في العيش الرغد، والرفاهية في المعيشة، ما يعلم به أنه لم يرد به ضيق الرزق في الحياة الدنيا، لوجود مشركين في سعة من أرزاقهم، وإنما أراد به بعد الموت، قبل الحشر)[٣].

---

(١) أخرجه مسلم: رقم (٢٦٠٦).

[٢] أخرجه البخاري: رقم (٦٠٥٢، ٦٠٥٥)، ومسلم: رقم (٢٩٢).

[٣] انظر: شرح كتاب اعتقاد أهل السنة، للمؤلف: (ص ١٥٢).

- قول الله عز وجل: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ} [السجدة: ٢١]، قال ابن القيم، رحمه الله: (وَقد احتج بِهَذِهِ الْآيَة جمَاعَة مِنْهُم عبد الله بن عَبَّاس على عَذَاب الْقَبْر. وَفِي الاحْتِجَاج بهَا شَيْء! لِأَن هَذَا عَذَاب فِي الدُّنْيَا يستدعى بِهِ رجوعهم عَن الْكفْر، وَلم يكن هَذَا مَا يخفى على حبر الْأمة وترجمان الْقُرْآن، لَكِن من فقهه فِي الْقُرْآن، ودقة فهمه فِيهِ، فهم مِنْهَا عَذَاب الْقَبْر؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أخبر أَن لَهُ فيهم عذابين: أدنى وأكبر، فَأخْبر أَنه يذيقهم بعض الْأَدْنَى ليرجعوا، فَدلَّ على أَنه بَقِي لَهُم من الْأَدْنَى بَقِيَّة يُعَذبُونَ بهَا بعد عَذَاب الدُّنْيَا. وَلِهَذَا قَالَ من الْعَذَاب الْأَدْنَى، وَلم يقل ولنذيقنهم الْعَذَاب الْأَدْنَى، فَتَأَمّله!)[١].

وأما من السنة فقد تضافرت أدلة كثر على إثبات ذلك، ومنها:

- تعليم النبي، صلى الله عليه وسلم، أمته في الصلاة الاستعاذة بالله من أربع: [اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ][٢].

- حديث عَائِشَةَ، رضي الله عنها، أَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَخْدُمُهَا، فَلَا تَصْنَعُ عَائِشَةُ إِلَيْهَا شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، إِلَّا قَالَتْ لَهَا الْيَهُودِيَّةُ: وَقَاكِ اللَّهُ عَذَابَ الْقَبْرِ، قَالَتْ: فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ لِلْقَبْرِ عَذَابٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: (لَا، وَعَمَّ ذَاكِ؟) قَالَتْ: هَذِهِ الْيَهُودِيَّةُ لَا نَصْنَعُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، إِلَّا قَالَتْ: وَقَاكِ اللَّهُ عَذَابَ الْقَبْرِ، قَالَ: (كَذَبَتْ يَهُودُ، وَهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَكْذَبُ، لَا عَذَابَ دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)، قَالَتْ: ثُمَّ مَكَثَ بَعْدَ ذَاكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ نِصْفَ النَّهَارِ، مُشْتَمِلًا بِثَوْبِهِ، مُحْمَرَّةً عَيْنَاهُ، وَهُوَ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ: (أَيُّهَا النَّاسُ، أَظَلَّتْكُمُ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ بَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ)[٣].

- حديث زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ قَالَ: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، فِيهِ أَقْبُرٌ، وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ، فَحَادَتْ بِهِ، وَكَادَتْ أَنْ تُلْقِيَهُ، فَقَالَ: (مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟) فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَوْمٌ هَلَكُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَقَالَ: (لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ عَذَابَ الْقَبْرِ)[٤]؛ أجارنا الله وإياكم! لو سمعنا أصوات المعذبين في قبورهم، لما دفن أحدٌ أحدًا من شدة الفزع! فإنها أصوات منكرة بشعة، لكن الله تعالى أسمعها نبيه، صلى الله عليه وسلم،

---

[١] الروح: (ص ٧٦).

[٢] أخرجه البخاري: رقم (١٣٧٧)، ومسلم: رقم (٥٨٨).

[٣] أخرجه أحمد: رقم (٢٤٥٢٠)؛ وأصله في الصحيحين.

[٤] أخرجه مسلم: رقم (٢٨٦٧)، وأحمد: رقم (٢١٦٥٨)، واللفظ له.

وسمعتها الدابة، حتى حادت به، وكادت أن تلقيه فزعًا، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، رحمهما الله، في مواضع متعددة من كتبهما، أن المسلمين في بلاد الشام إذا أصاب دوابهم وخيولهم، مرض يقال له "المغل"، وهو انحباس ما في جوف الدابة، ساقوها إلى قبور اليهود والنصارى والنصيرية، فما هو إلا أن تسمع أصوات المعذبين، حتى تهر ما في بطونها من شدة الفزع.

فهذه أدلة صحيحة صريحة، من الكتاب، والسنة، والحس، على إثبات عذاب القبر، ونعيمه؛ فيجب اعتقادها.

فالقبر أول منازل الآخرة، وكان عثمان – رضي الله عنه – إذا قام على قبر علته صفرة ووجل، وقال: هذا مقام له ما بعده؛ وصدق، رضي الله عنه، فإن كان قبر الإنسان روضة من رياض الجنة، فهو مقبل على روضات خير منها، وإن كان حفرة من حفر النار، فهو مسوق إلى حفر أفظع منها.

والعذاب المؤقت في القبر، الذي يكون لبعض عصاة الموحدين، قد يذهبه الله بدعوة صالحة، أو بنفقة أجراها الإنسان قبل مماته، أو برحمة أرحم الراحمين. ولهذا كان نبينا صلى الله عليه وسلم يدعو لأهل القبور، وربما خرج ليلًا فدعا لهم. عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ، فَيَقُولُ: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَدًا، مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا، إِنْ شَاءَ اللهُ، بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللهُمَّ، اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ)[1].

وينبغي للمؤمنين أن يتعاهدوا إخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان، فيزوروا قبورهم، ويدعوا لهم، وكثيرٌ من الناس قد يتبع الجنائز، ويدخل المقبرة، ويذهل عن الدعوة لأهل القبور؛ فيشرع للمسلم، إذا دخل المقبرة، الدعاء لإخوانه بما ورد؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمَقْبُرَةَ، فَقَالَ: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ)[2]، (اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ)[3].

[1] أخرجه مسلم: رقم (٩٧٤).

[2] أخرجه مسلم: رقم (٢٤٩).

[3] أخرجه أحمد: رقم (٢٤٨٠١)، وابن ماجه: رقم (١٥٤٦).